

مجلــة

آداب الرافدين

علمية محكّمة فصليَّة

تصدر عن كلية الآداب

العدد: الخامس وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصــل

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: خمسة وسبعون   السنة: الثامنة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٣٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

العلاقات الدبلوماسية بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة المماليك

أ.م.د. فتحي سالم حميدي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/١١/٦ تأريخ القبول: ٢٠١٣/١٢/٣

لم يكن سلاطين الدولة المملوكية التي قامت في مصر بعصريها الأول والثاني (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رجال حرب فقط كما عدهم بعض المؤرخين ، بل أنهم كانوا على قدر كبير من المهارة في الجانب الدبلوماسي والحنكة السياسية ، فضلاً عن تمتعهم بمقدرة كبيرة على استمالة الأطراف الخارجية إلى جانبهم ، وكسبها كحلفاء يدعمونهم دبلوماسياً وعسكرياً في مهمة التصدي للأخطار الخارجية المعادية لدولتهم ، ولاسيما التي كانت تهددها مباشرة ، من خلال مناطق نفوذها في كل من مصر وبلاد الشام ، ونتيجة لذلك أقام سلاطين المماليك العديد من التحالفات مع دولة المغول في بلاد القفجاق[١] (القبيلة الذهبية) [٢]، ليتسن لهم الاستفادة منها في مناهضة دولة المغول الإيلخانيين التي قامت في بلاد فارس وضربها في عقر دارها [٣] للحد من خطرها الذي ظل يهدد مناطق نفوذ دولة المماليك في بلاد الشام ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن المغول

* كلية التربية الإساسيَّة/ جامعة الموصل .

(١) وليم موير ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن (مطبعة مدبولي ، القاهرة : ١٩٩٥م) ، ص٥٠-٥١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٢ (النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص٢٧١ .

(٢) مغول القبيلة الذهبية : لهم دولة في روسيا ، وأطلق عليها الروس أسم القبيلة الذهبية نسبة إلى لون خيامهم ذات اللون الذهبي . للمزيد ينظر : هارولد لام ، جنكيزخان وجحافل المغول (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : ١٩٦٢ م) ، ص ٤٨ ؛ عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ط٣ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : ٩٦٤م) : ج١ / ص ٦٤٠ ؛
Maximilian Shlosberg , History of the Ussr , translated : George Hanna ,(No. p. , Moscow : 1977): 1 / 55 ; A.A. Vasilie v , history of the Byzantine , p.378.
الكتاب منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : WWW.Getpedia.com

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الصراع بين دولة مغول القبيلة الذهبية والمغول الإيلخانيين في بلاد فارس. ينظر: برتولد شبولر ، العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة : خالد أسعد عيسى ، مراجعة : سهيل زكار (دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق : ١٩٨٢) ، ص٥٠ .

الإيلخانيين يشكلون الخطر الوحيد الذي استهدف مناطق نفوذ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام وهددها بشكل مباشر ، وإنما كان هنالك الخطر الصليبي الذي لا يزال تهديده قائماً ضدها بل ويعد من الأخطار الحقيقية التي لا يمكن الاستهانة به [١].

إن الظروف السياسية التي سادت المنطقة آنذاك من ناحية ، وظهور إمكانية التحالف مع قوة سياسية تمثلت بالإمبراطورية البيزنطية المعادية في الوقت ذاته لجميع أعداء دولة المماليك من ناحية أخرى ، وخاصة المغول الإيلخانيين والصليبيين ، جعلت سعي الدولة المملوكية لإقامة التحالفات مع الإمبراطورية البيزنطية ضد القوى الصليبية في بلاد الشام أمراً طبيعياً ، كما هو الحال في التحالف الذي عقدته معها ضد إيلخانية المغول في بلاد فارس باعتبارها عدو مشترك لهما[٢]، فلم تكد دولة المماليك الوليدة توطد أركانها في كل من مصر وبلاد الشام في عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م) ، حتى بدأت بالسعي جاهدة لتعزيز قدراتها العسكرية والسياسية لمواجهة الأخطار الخارجية ، فاتبعت الطرق الدبلوماسية كوسيلة لتحقيق التقارب مع الإمبراطورية البيزنطية ، والتحالف معها منطلقة من العداء التقليدي الذي تكنه بيزنطة للصليبيين في بلاد الشام منذ انطلاق الحروب الصليبية[٣] ، ووصول الحملة الأولى إلى الشرق في نهاية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، ونتيجة لذلك نجحت الدولة المملوكية في تحقيق ما كانت تصبو إليه ، من خلال العلاقات الدبلوماسية التي أقامتها مع الإمبراطورية البيزنطية [٤] التي كانت لا تقل احتياجاً عن المماليك في إقامة مثل هكذا علاقات بسبب الظروف السياسية التي كانت تعيشها ، حيث كان الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجس (٦٥٩-٦٨١هـ / ١٢٥٩-١٢٨٢م) قد انتصر

---

(١)عاشور ، العصر المماليكي ، ص٢٧١ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (دار النفائس ، القاهرة : ١٩٩٧م) ، ص١٤٦.

(2) R. Stephen Humphreys , Ayyubids, Mamluks , and the Latin East in the Thirteenth Century, Mamluk Studies Review (The University of Chicago:1998) :Part.II/p.16 .

(٣) طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند (دار النفائس ، بيروت : ٢٠٠٧م) ، ص٤١ ؛ موير ، تاريخ دولة المماليك ، ص ٥١ .

(٤) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧١.

حديثاً ، واستعاد مدينة القسطنطينية في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م بعد أن قضى على الاحتلال الصليبي الذي سيطر عليها منذ سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٤م ، وبقيت رازحة تحت نيره لسبعة وخمسين عاماً[١]، فأصبح سيداً عليها بلا منازع بعد إسقاط النظام اللاتيني الغريب عنها، فكانت بحاجة ماسة لتقوية جبهتها الداخلية والخارجية [٢]، لاسيما وهي التي كانت تدرك بل ومتيقنة تماماً منذ تأسيسها أن السيف ليس وحده من يحقق النصر الحاسم في كثير من الأحيان، كما أن الوسائل الدبلوماسية كعقد الاتفاقيات والمعاهدات والتحالفات بل ودفع الغرامات والأموال الكبيرة أو إرسال الهدايا للدول المجاورة كانت من الوسائل التي تجنبها الحروب والهزائم وفقدان الرجال، وتسهم في حل المشاكل العالقة بين الطرفين[٣].

لم تلبث العلاقات الدبلوماسية أن توطدت بشكل ملحوظ في عهد السلطان الظاهر بيبرس والإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجس [٤] ، ولاسيما بعد أن أقام السلطان الظاهر تحالفاً مع الإمبراطور البيزنطي في سنة ٦٥٩ هـ/١٢٦١ م ، وتمثل هذا الاتفاق بعقد معاهدة تجارية[٥]،ضمنت من خلالها الدولة المملوكية تامين طريق التجارة بين البلدين من جهة وكسب البيزنطيين في الوقوف إلى جانبهم ضد اللاتين الذين لا زالوا يقدمون المساعدات والإمدادات للكيانات الصليبية في بلاد الشام من جهة أخرى[٦] ، وتضمنت هذه المعاهدة بنود عدة أهمها :

(١) محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين١٢-١٣م/٦-٧(عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة :٢٠٠٠م)، ص٢٧٥ ، نادية محمود مصطفى ، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوربية الثانية (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة : ١٩٩٦م) ، ص٢٩ .

(٢) شبولر ، العالم الإسلامي ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٤ .

(٣) طه خضر عبيد ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية٣٢٤-١٤٥٣م (دار الفكر، عمان :٢٠١٠م) ، ص٢٤٥.

(٤) عوض ، الحروب الصليبية ، ص٣٣١ ؛ طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، ص ٤١ .

(5) Humphreys , Ayyubids, Mamluks : Part. II/p.15.

(٦) محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون (مطبعة الاعتماد ، مصر : د.ت.) ، ص ٢٥٩ ؛ سهير محمد إبراهيم نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة : ٢٠٠٢م)، ص ٥٤ ؛ مصطفى ، العصر المملوكي ، ص٢٧ ؛ قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي (عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة : ١٩٩٨م)، ص ٩٦.

١. وافق الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجس على السماح للتجار المسلمين التابعين للدولة المملوكية بالمرور إلى بلاد القفجاق عبر الأراضي البيزنطية [١].
٢. تبقى الموانئ والمضايق البيزنطية مفتوحة أمام حركة السفن التجارية المملوكية ذهاباً وإياباً مع بلاد القفجاق ، وبذلك تبق كل من مصر وجنوب روسيا على اتصال بحري دائم [٢] .
٣. لا يتم السماح بمرور التجار الذين لا يحملون معهم كتب مختومة من السلطان الظاهر بيبرس ، بوصفها ورقة إذن للسماح لهم بالعبور .
٤. كما تم السماح للتجار البيزنطيين بالمتاجرة في البلاد التابعة للدولة المملوكية ، ولاسيما في مصر والشام [٣] .
٥. تتحمل كل من الإمبراطورية البيزنطية والدولة المملوكية مسئولية حماية الطرق التجارية وأمنها [٤] .
٦. إعفاء البضائع الصادر والواردة من والى الدولة المملوكية من جميع أنواع الضرائب[٥]، وبموجب هذه المعاهدة أصبحت بلاد القفجاق وسواحل البحر الأسود مورداً مهماً لمصر تزود من خلالها بالمماليك القفجاق [٦] .

على ما يبدو أن السلطان الظاهر بيبرس كان يمتلك حنكة سياسية وبعد نظر ، فضلاً عن سعيه لتحقيق هدف مهم ، تمثل بتحييد الإمبراطورية البيزنطية في الصراع

(1) Anne F. Broadbrdge , Mamluk Legitimacy and the Mongols: The Reigns of Baybars and Qalawun, Mamluk Studies Review (The University of Chicago:2001) : Part. V/p. 103 .

(٢)محيي الدين بن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر (د.م. ، الرياض : ١٩٧٦م) ، ص ١٤٠ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ١٤٦ .

(٣) عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، اعتناء : احمد حطيط (مركز الطباعة الحديثة ، بيروت : ١٩٨٣م) ، ص ٣٠٧ .

(٤) نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة ، ص ٥٤ .

(٥) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣٠٧ .

(٦) شبولر ، العالم الإسلامي ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٤ ؛ مصطفى ، العصر المملوكي ، ص٣١ .

الصليبي الإسلامي من خلال عقد اتفاقيات الصداقة والتعاون التجاري ، ليتفرغ لضرب الصليبيين في بلاد الشام دون أي عائق .

أسهمت معاهدة سنة ٦٥٩ هـ /١٢٦١ م التجارية التي عقدت بين الطرفين في تحسين العلاقات السياسية بشكل كبير، مما شجع الإمبراطور البيزنطي كثيراً على العمل لجر هذا التحسن على الجانب السياسي ، فأرسل إلى السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م كتاباً اقسم فيه وأعرب عن جاهزيته على تقديم المساعدة للدولة المملوكية ، إذا ما اقتضت الضرورة [١]، كما طلب منه السماح بإقامة بطريرك أرثوذكسي في الإسكندرية ، وإرسال بطرك من أبناء الطائفة الملكانية [٢] التي تعد جزءاً من رعايا الإمبراطورية البيزنطية للإشراف على شؤونها ، فوجد السلطان الظاهر بيبرس في ذلك فرصة مناسبة لإقامة علاقات ودية بين الطرفين فاستجاب لطلب الإمبراطور ميخائيل باليولوجس ، ولبى رغبته في السنة ذاتها ، من خلال إرسال احد رجال الطائفة الملكانية ، ويدعى الرشيد الكحال [٣]، فضلاً عن ارسال بعض الأساقفة الملكانيين ، كما أرسل برفقته الأمير فارس الدين أقوش المسعودي على رأس وفد مملوكي [٤] حاملاً مجموعة هدايا إلى الإمبراطور من ضمنها زرافة ومجموعة من الأسرى المغول بخيولهم وعدتهم[٥] .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٨٨ .

(٢) الطائفة الملكانية : جمع ملكاني Malkaniy وهي كلمة سريانية ، وتقابلها في العربية Melkites ملكيون ملكي وباليونانية Basilikoi أي ملكي ، وقد أطلق اسم ملكاني على النصارى العرب الذين انضموا إلى الكنيسة البيزنطية متبعين المذهب الرسمي للإمبراطورية ، ينظر : احمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٨٦م) ، ص ٢٠٢ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٢٩ ؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق : مفيد قمحية وآخرون (دار الكتب العلمية ، بيروت : ٢٠٠٤م) : ج٣٠/ص٣٤ ؛ بدر الدين العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان:ج١/ص٨٣ الكتاب منشور على شبكة الانترنيت على الموقع: . www.alwaraq.com

(٤) تقي الدين أبي العباس احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٧م) : ج١/ص٥٤٣ ؛ حسنين محمد ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (دار النهضة العربية ، القاهرة : ١٩٨٣م) ، ص ٢٩٣ ؛ موير ، تاريخ دولة المماليك ، ص ٥١ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ١٤٦ .

(٥) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٨٨ .

عندما وصل الوفد المملوكي إلى مدينة القسطنطينية ، استقبله الإمبراطور البيزنطي بمنتهى التكريم والحفاوة ، واطلع الأمير فارس الدين أقوش على مسجد القسطنطينية(١)، الذي جدد بنائه بعد أن قام الصليبيون بإحراقه وهدمه(٢) أثناء احتلال القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٤م(٣) ، كما أسهم السلطان الظاهر بيبرس بشكل كبير في تعمير هذا المسجد من خلال إرسال الأموال والأثاث كالحصر العبداني والقناديل المذهبة والسطور المرقومة والمباخر والسجاد والعود والعنبر والمسك وماء الورد (٤).

على ما يبدو أن قيام الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجس بإعمار مسجد القسطنطينية كان لأجل إثبات حسن نواياه تجاه دولة المماليك من ناحية ، ولتحسين العلاقات بين الطرفين من ناحية أخرى . أما قيام الظاهر بيبرس بالمساهمة في دفع نفقات إعمار المسجد وتأثيثه أيضاً ، كان لأجل الظهور أمام الإمبراطور البيزنطي أولاً والمسلمين ثانياً ، بأنه حامي المسلمين ، والمهتم بشؤونهم أينما كانوا سواء في دار الإسلام أم في دار الكفر .

ثم عادت السفارة المملوكية برئاسة الأمير فارس الدين اقوش من القسطنطينية حاملةً معها الهدايا التي أرسلها الإمبراطور ميخائيل باليولوجس للسلطان الظاهر(٥) ، وفي سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م وصل رسل الإمبراطور البيزنطي إلى القاهرة متقدمين إلى السلطان ،

---

(١) مسجد القسطنطينية : بني هذا المسجد في عهد الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث (٩٨-١٢٣هـ/٧١٧-٧٤١م) ، كجزء من اتفاق الصلح الذي عقد في سنة ٩٦هـ/٧١٥م بين البيزنطيين والمسلمين في عهد الخليفة الأُموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) لكي يصلي فيه التجار ، والمقيمين المسلمين المتواجدين في القسطنطينية . ينظر : أسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية (دار المعارف ، القاهرة :١٩٨٢م) ، ص ٩٨ ؛ قاسم ، عصر سلاطين المماليك ، ص٩٦؛ العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) العيني ، عقد الجمان : ج١/ص٨٣ ؛ موير ، تاريخ دولة المماليك ، ص٥١ .

(٣) غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٩٧ ؛ عوض ، الحروب الصليبية ، ص ٢٥٣-٢٧٥

(٤) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٢٩ ؛ العيني ، عقد الجمان : ج١/ص٨٣ ؛ المقريزي ، السلوك: ج١/ص٥٤٣ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٢٧٢ .

(٥) العيني ، عقد الجمان : ج١/ص٨٣ .

بطلبه الذي التمس فيه التدخل من اجل إقناع خان مغول القفجاق بالتزام الحياد تجاه الأوضاع السياسية المتدهورة في بلاد البلقان ، فتدخل السلطان لمساعدته في ذلك [١] .

وعلى الرغم من العلاقات الحسنة التي سادت بين الطرفين ، قام الإمبراطور البيزنطي في سنة ٦٦١ /١٢٦٢م باعتراض رسل السلطان الظاهر واحتجازهم في أثناء مرورهم بالأراضي التابعة له[٢] ، وأعاقهم عن الوصول إلى بلاط بركة خان بن جوجي (٦٥٤-٦٦٥هـ/١٢٥٦-١٢٦٧م) زعيم دولة مغول القفجاق ، معللاً ذلك بخشيته من هولاكو لارتباطه معه بمعاهدة صلح وانه إذا ما علم بذلك ظن أن الإمبراطور نقض الصلح المعقود بينهما ، فيقوم بمهاجمة مناطق نفوذ الإمبراطورية البيزنطية القريبة من بلاده[٣] ، مما أدى إلى تعكر صفو هذه العلاقات ، حيث استاء السلطان الظاهر من جراء تلك الفعلة وغضب كثيراً ، فقام بجمع رجال الدين النصارى وأشهدهم على أن الإمبراطور البيزنطي هو من بدأ بخرق الاتفاق بالرغم من الأيمان والوعود التي قطعها على نفسه ، وما أن علم الإمبراطور ميخائيل باليولوجس بغضب واستياء السلطان الظاهر والإجراء الذي قام به ، حتى هرع مسرعاً لاستدراك ما قام به من فعلٍ مخالف للاتفاق بين الطرفين ، فأمر بإطلاق الرسل، فضلاً عن السماح لهم بالسفر عبر بلاده إلى بلاط بركة خان[٤].

وعلى ما يبدو أن الإمبراطورية البيزنطية كانت بحاجة ماسة إلى الدعم المملوكي لتتمكن من مواجهة أعدائها في الغرب الأوربي ، لذلك لم يرد الإمبراطور إغضاب

---

(١)المقريزي ، السلوك: ج١/ص٥٥٨ ؛ العيني، عقد الجمان:ج١/ص٩٣؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ١٤٦.

(٢) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق : اولرخ هرمان (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة : ١٩٧١م) : ج٨/ص٩٧-٩٨ ؛ اسحق عبيد تاوضروس ، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م (دار الكتب ، بيروت : د. ت.) ، ص ٦٢ ؛ ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٩٣ ؛ موير ، تاريخ دولة المماليك ، ص٥١ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ١٤٦ .

(٣) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد : ١٩٥٥م) : مج٢/ص١٩٧ .

(٤) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٤٠ ، ٢٠٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب : ج٣٠/ص٣٩ ؛ المقريزي ، السلوك :ج٢/ص١٠ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٢.

السلطان ، فقام بإطلاقهم في سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م وقدم اعتذاراً عما فعله ، مرسلاً إلى القاهرة رسلاً حاملين هدايا قيمة للسلطان (١).

إن ما يدل على استمرار العلاقات الودية بين الطرفين ما حدث في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م عندما قام سلطان سلاجقة الروم عز الدين كيكاوس (٦٤٤-٦٦٣هـ/١٢٤٦-١٢٦٤م) بمهاجمة القسطنطينية بالتعاون مع بركة خان، إذ صادف ذلك وجود الأمير فارس الدين أقوش رسول السلطان الظاهر في القسطنطينية ، فخرج الأمير فارس الدين إلى السلطان السلجوقي ، وأمره بالتراجع عما هو مقدم عليه ، لان ذلك سيغضب السلطان الظاهر كثيراً ، واعلمه أن البلاد في عهد الملك الظاهر وصُلْحِهِ ، وخاطبه قائلاً : ((هذا قد صار من أصحاب السلطان ، ولا سبيل لك إلى محاربته))(٢) ، فضلاً عن توسط السلطان الظاهر في سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م لحل النزاع الذي نشب بين كل من بركة خان القبيلة الذهبية والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن (٣) ،الذي اقر بموجبه أن يرسل إلى بركة خان ثلاثمائة ثوب أطلس سنوياً (٤) ، كما بادر الإمبراطور البيزنطي في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م إلى استرضاء السلطان الظاهر بيبرس عما فعله مع رسله سابقاً ، فأرسل إليه هدايا النفيسة بمعية الأمير فارس الدين أقوش بلغت قيمتها ما يقرب من أربعين ألف دينار، فعادت العلاقات البيزنطية – المملوكية إلى ما كانت عليه سابقاً من السلام والوئام (٥) .

(١)المقريزي ، السلوك : ج٢/ص٢٦.

(٢) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٨ ؛ ابن أيبك ، كنز الدرر : ج٨/ ص٩٨ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان : مج٢/ص١٩٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب : ج٢٧/ص٢٤٦ ؛ العيني ، عقد الجمان : ج١/ ص١٢٥.

(٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٠٣؛ النويري ، المصدر نفسه : ج ٣٠/ص ٧٥ ؛ المقريزي ، السلوك :ج٢/ص٦٦ ؛ تاوضروس ، الدولة البيزنطية ، ص٦٢ .

Broadbrdge , Mamluk Legitimacy and the Mongols: The Reigns of Baybars and Qalawun: Part. V/p.100.

(٤) ابن أيبك ، كنز الدرر : ج٨/ ص٩٨ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان : مج٢/ص١٩٨ .

(٥) اليونيني ، المصدر نفسه : مج٢/ص١٩٩ ؛ حسنين ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٩٣.

استقبل السلطان الظاهر بيبرس أثناء نزوله بدمشق سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م وفدي الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن ، وبركة خان مغول القبيلة الذهبية ، وتم التباحث من خلال هذا اللقاء بشأن العلاقات الثنائية (١) ، كما اقسم الإمبراطور أمام الرسل ، وطلب من السلطان الاستمرار على الصلح ، والتمس منه دخول صهره أبغا بن هولاكو في هذا الصلح ، فكتبت نسخة الإجابة التي وافق فيها السلطان على طلب الإمبراطور باستثناء دخول أبغا في الصلح حيث رفض ذلك (٢).

لقد استمرت العلاقات الحسنة بين الطرفين بصورة جيدة ، والرسل والسفارات المتبادلة في ذهاب وإياب في السنوات ٦٦٩هـ/١٢٧١م و ٦٧٢هـ/١٢٧٣م حتى وفاة السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م (٣)، وتولي ولده السعيد بركة خان (٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م) لأمر السلطنة ، إلا انه لم يلبث أن خلع في سنة ٦٧٨هـ /١٢٧٩م ، ونصب السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) الذي انتهج نفس السياسة التي وضع أسسها سلفه الظاهر، كما كان السلطان المنصور قلاوون حريصاً على تقوية أواصر الصداقة والسلام مع الإمبراطورية البيزنطية ، فأرسل في السنة ذاتها سفارة إلى العاصمة البيزنطية ، وجعل على رأسها الأمير ناصر الدين بن الحسن الجزري ، وبطرك الأقباط (٤) للقاء الإمبراطور ميخائيل باليولوجس محملاً إياهم رسالة فحواها إعلامه بتولي المنصور قلاوون الحكم في دولة المماليك فضلاً عن إبلاغه برغبته في استمرار سريان اتفاقات الصداقة والمعاهدة التجارية المعقودة بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة المملوكية منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس (٥) .

استقبل الإمبراطور ميخائيل الثامن السفارة المملوكية بحفاوة واحترام كبيرين ، وابلغها بموافقته على طلب السلطان المنصور قلاوون ، ولمن دواعي سروره أن تستمر العلاقات الودية كما أعرب عن حرصه الكبير على استمرار الصداقة بين الطرفين ، وأكد

---

(١) العيني ، عقد الجمان : ج١/ص١١٩ ؛ طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، ص٤٥.

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) المقريزي ، السلوك : ج٢/ص٨٢ ، ٩٤ ؛ سرور ، دولة بني قلاوون ، ص ١٩ .

(٤)المقريزي ، المصدر نفسه : ج٢/ص١٣٤ .

(٥) تاوضروس ، الدولة البيزنطية ، ص ٦٢ .

لأعضاء السفارة على مدى التزامه بتطبيق بنود الاتفاقات المعقودة سابقاً ، فضلاً عن طلبه من السلطان قلاوون أن يبعث إليه يميناً يقسم عليه بالالتزام بذاك ، فأرسل إليه السلطان قلاوون وفداً قام الإمبراطور البيزنطي بتأدية القسم أمامه ، وشهد جميع أعضائه على ذلك(١).

إن الظروف السياسية المضطربة التي كانت تعيشها الإمبراطورية البيزنطية ، بسبب المؤامرات الخارجية التي كانت تبرمها ضدها القوى الصليبية الساعية لإعادة الإمبراطورية اللاتينية إلى الحياة ، ولاسيما البابوية والبنادقة وملوك صقلية(٢) ، جعلت الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن يرسل سفارة إلى السلطان المنصور قلاوون في شهر رمضان سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م ، لتعرض عليه عقد تحالف عسكري ضد القوى المعادية لهما معاً ، فوافق السلطان المنصور قلاوون على ذلك(٣) ، وقد أورد القلقشندي نص مشرع المعاهدة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي ، إلا إننا سنكتفي بذكر أهم البنود التي تم الاتفاق عليها من خلال هذا النص ، وأهمها ما يأتي :

١. اقسم الإمبراطور البيزنطي على الإنجيل والصليب إن يكون وفياً صادقاً حافظاً العهد للسلطان قلاوون وأبنائه من بعدة ، على أن يحفظ السلطان قلاوون العهد للإمبراطور البيزنطي ولولده من بعده أيضاً .
٢. وأن لا تشن الإمبراطورية البيزنطية حرباً ضد بلاد السلطان المنصور قلاوون أو أي قلعة من قلاعها ، كما لا يشن السلطان حرباً على أراضي الإمبراطورية البيزنطية .
٣. ولا يقوم كلا الطرفين بدفع أي طرف خارجي للقيام بعمل معادي لأي منهما .

---

(١) طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ١٩٩.

(٢)عاشور ، أوربا العصور الوسطى : ج١/ص٦٧٥ ؛
Humphreys , Ayyubids, Mamluks : Part. II/p.11 .

(٣) ابو العباس احمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا (المطبعة الأميرية ، القاهرة : ١٩١٩م) : ج١٤ / ص٧٢ ؛ العيني ، عقد الجمان : ج١/ ص١٨٤ ؛ عبد القادر احمد اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية (دار المكتبة العصرية ، بيروت :١٩٦٦م) ، ص ١٧١ ؛ حسنين ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٩٤ .

٤. فضلاً عن عدم القيام بأي تعرض أو عمل عسكري بيزنطي معادي للقوات المملوكية الموجودة في أي جزء من أجزاء الدولة ، على أن لا تقوم القوات المملوكية بعمل عسكري ضد القوات البيزنطية .

٥. كما يسمح الإمبراطور البيزنطي لرسل السلطان قلاوون بالعبور من خلال أراضي إمبراطوريته دون أي عائق والى أي بلد يشاءون .

٦. السماح للتجار المسلمين بالمتاجرة عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية دون التعرض لأي نوع من أنواع الضرر أو الأذى ، بل سمح لهم بفتح متاجرهم ومحالهم دون مضايقة أو ظلم.

٧. يدفع التجار من كلا الطرفين الضرائب المفروضة على بضائعهم والتي تجبى لصالح الدولتين .

٨. يسمح لتجار المغول الوافدين إلى دولة المماليك عبر أراضي الإمبراطورية بالمرور دون أي عائق على أن يدفعوا ما يترتب عليهم من ضرائب ، كما يسمح لمرافقيهم من المماليك والتجار بالعودة إلى بلاد السلطان .

٩. أما ما يتعلق بالرقيق النصارى المتواجدين في الأراضي البيزنطية برفقة تجار مسلمين فلا يسمح لهم بالعودة إلى بلاد السلطان ، في حين يسمح للعتقاء من الرقيق النصارى في بلاد السلطان بالعودة إلى الأراضي البيزنطية عبر البحر ، وان لا يعرقل أو يعترض احد رغبة أي من المسلمين في بيع أرقائه من النصارى للرسل والتجار البيزنطيين ، فضلاً عن عدم اعتراض عملية إعادتهم إلى الأراضي البيزنطية عبر البحر .

١٠.يسمح لكل من السلطان والإمبراطور بالمتاجرة في بلاد الطرف الآخر دون أي ضرائب ، وان أراد السلطان فرض الضرائب على البضائع البيزنطية تتم معاملة البضائع المملوكية في الأراضي البيزنطية بالمثل .

١١.يسمح السلطان للإمبراطور بإرسال رسل إلى بلاده لشراء ما يشاءون من الخيول والبضائع ، كما يسمح الإمبراطور لرسل السلطان بشراء ما يشاءون من بضائع وسلع بلاده.(١)

١٢.لا تتحمل الإمبراطورية البيزنطية أي مسؤولية ولا تقدم أي تعويض ، إذا ما تعرض تجار الدولة المملوكية لأي خسارة في المناطق التابعة لها بسبب أعمال القرصنة ، ولا يغرم ظلماً أي من رعايا الإمبراطورية لهذا السبب ، وان حدث شيء من هذا القبيل ، فيُبَلَغ السلطان بذلك ، ويُلْزَمْ بإعادة مبالغ الغرامات إلى أصحابها ، كما يلزم الإمبراطور البيزنطي بالقيام بنفس الفعل ، إذا ما حدث في بلاده نفس الشيء .

١٣. في حالة الاتفاق بين الطرفين يكون عدوهم واحد ، ومتى ما طلب السلطان من الإمبراطورية المساعدة العسكرية يقدمها الإمبراطور له دون تلكؤ أو تأخير، على أن يحدد السلطان الكيفية التي يتم من خلالها تقديم الإعانة والمساعدة العسكرية لبلاده ، وفي حالة عدم حاجة السلطان للدعم العسكري فلا مانع لدينا من عدم أدراج البند في نص الاتفاق .

١٤. إذا وافق السلطان على ما عرضه الإمبراطور من بنود ، يتم توقيعها بينهما ، ويقسم الطرفين بالحفاظ عليها ، وعدم الإخلال بأي شرط من شروطها(٢) .

لم يكتف القلقشندي بذكر النص الذي أرسله الإمبراطور ميخائيل الثامن بل أورد نص الرد الذي كتبه السلطان قلاوون على ما عرضه عليه الإمبراطور من بنود ، واقسم في بدايته وأدى الإيمان متعهداً بالحفاظ عليها ، وذلك بحضور رسله إلى الإمبراطور انباسيوس بطريرك الإسكندرية والأمير ناصر الدين ابن الجزري ، فضلاً عن رسولي الإمبراطور إلى السلطان (٣) .

بعد وفاة الإمبراطور ميخائيل باليولوجس في سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، واعتلاء الإمبراطور أندرونيق الثاني (٦٨١ -٧٢٩هـ/١٢٨٢-١٣٢٨م) لعرش الإمبراطورية

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا : ج١٤ / ص٧٢-٧٥.

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا : ج١٤ / ص٧٢-٧٥.

(٣) القلقشندي ، المصدر نفسه : ج١٤ / ص٧٥ -٧٨؛ المقريزي ، السلوك : ج٢/ص١٥٤ ؛ تاوضروس ، الدولة البيزنطية ، ص ٦٢ ؛ حسنين ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٩٥.

البيزنطية ، استمر في إتباع سياسة والده في عقد المعاهدات ، والتحالف مع الدولة المملوكية في مصر من اجل إقامة علاقات ودية [١] ، كي يتسن له تحقيق أهداف عدة أهمها :

١. تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية وعلاقات الصداقة وتوثيق عراها .
٢. إبعاد اللاتين عن الإشراف على الأماكن المقدسة التي تخضع لسلطة الدولة المملوكية ونفوذها .
٣. عقد معاهدات تعاون بيزنطية- مملوكية مشتركة ، وتحالفات على الصعيد العسكري والاقتصادي للتصدي للتحديات التي تواجهها الإمبراطورية البيزنطية من لدن الإمارات التركمانية الناشئة في آسيا الصغرى[٢] كإمارة بني دلغادر وبني رمضان وبني عثمان[٣] .

بادر الإمبراطور البيزنطي الجديد بمجرد توليه الحكم إلى القيام بإرسال سفارة إلى السلطان المنصور قلاوون في القاهرة ، وحملها مجموعة من الهدايا الفاخرة التي اشتملت على حملٍ من الحرير ، وأربعة أحمال من البسط والسجاد ، مما سر السلطان قلاوون وأفرحه كثيراً فاستقبل الوفد البيزنطي بحفاوة ، وغمر أعضائه بالعطايا الجزيلة والهدايا النفيسة[٤] ، كما وفد رسل الإمبراطور أيضاً إلى القاهرة في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨م ولاقوا ترحيباً كبيراً [٥] ، ومما يدل على سعي البيزنطيين إلى كسب ود المماليك قيام الإمبراطور أندرونيق الثاني باستضافة أولاد السلطان الظاهر بيبرس في بلاطه، وأكرمهم عندما نفاهم

---

(١) زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي(دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٦م):ج٢/ص٢٢٤ ؛ المقريزي ، المصدر نفسه : ج٢/ص ١٧٣ ؛ سرور ، دولة بني قلاوون ، ص٢٥٩ ؛ نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة ، ص ٥٥ .

(٢) طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ٢٨٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥-٢٤٨ .

(٤)النويري ، نهاية الأرب : ج٣٠/ص ٨٥ ؛ المقريزي ، السلوك : ج٢/ص١٥٧ ؛ ابو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب(المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت : د.ت) : ج٥/ص٤١٢.

(٥) المقريزي ، المصدر نفسه : ج٢/ص١٨٩.

السلطان المنصور قلاوون إلى القسطنطينية في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ، فبقوا فيها حتى تم السماح لهم بالعودة إلى مصر، عندما استدعاهم زوج شقيقتهم السلطان حسام الدين لاجين(٦٩٥-٦٩٧هـ /١٢٩٦ -١٢٩٨م) في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م (١).

بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م تولى ولده الأشرف خليل(٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) أمر السلطنة ، واتبع ذات السياسة التي انتهجها سلفيه تجاه القوى السياسية المعاصرة ، فأرسل الأمير علم الدين الدواداري رسولاً إلى الإمبراطور البيزنطي في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م ومعه الهدايا الثمينة ، إلا أن مقتل السلطان الأشرف أدى إلى إيقاف مهمة السفارة التي وصلت إلى أطراف الشام ، فقطعت سيرها عائدة إلى دمشق(٢) ، وعلى الرغم من ذلك بقيت العلاقات الحسنة بين الطرفين تسير بنفس الوتيرة ، طوال عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤٠م) الذي تولى الحكم بعد مقتل شقيقه الأشرف سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م ، فحققت الدولة المملوكية مكاسب سياسية وعسكرية كبيرة بعد أن وطدت أركانها ، وعززت مكانتها بين القوى السياسية المعاصرة في عهد بني قلاوون ، ولاسيما في عهد السلطان الناصر محمد ، الذي وصلت الدولة في عهده إلى أعلى المستويات من النفوذ والقوة (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن أي دولة من الدول عندما تبلغ هذا المبلغ من القوة لابد أن يكون للدبلوماسية في علاقاتها السياسية نصيباً كبيراً من نشاطها الخارجي ، وبما أن الدولة المملوكية كانت تمثل اكبر قوة إسلامية آنذاك ، فقد أصبحت على قدر كبير من

---

(١)محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمر (دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٧م) :ج ٥١/ص٤٠٥ ؛ ج٥٢/ص٥٨ ؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت : د.ت.) : ج١٣/ص٣٥٢ ؛ المقريزي ، المصدر نفسه : ج٢/ص٢١٢،٢٣٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي : مصر : د.ت.):ج٨/ص١١٢.

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية : ج١٣ /ص٣٣٢ ؛ طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، ص ٥٨ .

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الدولة المملوكية في عصر بني قلاوون ينظر : علي إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عهد الناصر محمد بوجه خاص (د.م ، القاهرة : ١٩٥٩م) ، سرور ، دولة بني قلاوون .

النشاط الخارجي ، وكان من الطبيعي أن تكون الإمبراطورية البيزنطية جزء من نشاطها الخارجي بحكم المعاصرة والتجاور الجغرافي بينهما، فضلاً عما تقتضيه مصلحة الطرفين.

ونتيجة لذلك أرسل الإمبراطور أندرونيق الثاني في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م سفارة بيزنطية برفقة ملك جورجيا اختانغ الثالث بن ديمتري الثاني (٧٠١-٧٠٧هـ/١٣٠١-١٣٠٧م) إلى بلاط السلطان الناصر محمد ، إلا انه حرص في هذه المرة على أن تكون السفارة ذات طابع ديني أكثر مما هو سياسي ، ويتضح ذلك من خلال طلباته التي التمسها من السلطان كالموافقة على إعادة كنيسة المصلبة في بيت المقدس إلى أصحابها الذين انتزعت منهم [١] ، وحولت إلى مسجد منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس[٢] أولاً ، ومعاملة النصارى المقيمين في مناطق نفوذ الدولة المملوكية معاملة حسنة ، ولاسيما الملكانيين منهم والجورجيين الذين سيدخلون في طاعته ويكونوا رهن إشارته متى ما احتاجهم ، كما حملت هذه السفارة هدية نفيسة تم تقديمها للسلطان الناصر محمد [٣] .

على الرغم من إكرام السلطان الناصر محمد لأعضاء هذه السفارة ، إلا انه لم يوافق على طلب الإمبراطور أندرونيق الثاني ، ومما يدل على ذلك قيام الإمبراطور بإعادة الكرة بعد خمس سنوات، وأرسل سفارة بيزنطية برفقة ملك جورجيا جورج الخامس بن داؤد السابع (٧٠٧-٧١٤هـ/١٣٠٧-١٣١٤م) في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م كرر خلالها طلباته السابقة راجياً موافقة السلطان ، الذي وافق على رجاء الإمبراطور أندرونيق الثاني ، فأمر بإعادة الكنيسة إلى النصارى ولاسيما بعد أن اصدر علماء المسلمين وفقهائهم فتوى تقضي بعدم جواز استباحة الأماكن الدينية التابعة للنصارى ، والتي تقع ضمن مناطق نفوذ المسلمين ، فضلاً عن استجابة السلطان الناصر لطلب الإمبراطور ، الذي رجاه في العطف على النصارى الذين بذمتهم ، ولاسيما الملكانيين والجورجيين منهم[٤]، وبموجب

---

(١) النويري ، نهاية الأرب : ج٣٢/ص٦٩، ١٢٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج٢/ ص٤٥٨ ؛ العيني ، عقد الجمان : ج١ / ص ٤٦٥ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن أيبك ، كنز الدرر : ج٨/ ص٢٢٢ .

(٣) حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص ١٤٢-١٤٣ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ٢٨٦ .

(٤)المقريزي ، السلوك ، ج٢/ ص ٤٥٨ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٣ .

موافقة السلطان على تلبية طلبات الإمبراطور تم السماح للنصارى بمختلف مذاهبهم بإنشاء العديد من الكنائس والأديرة في البلاد التابعة لدولة المماليك(١) ، فأعرب الإمبراطور البيزنطي عن سروره وفرحه البالغ ، وامتنانه الشديد للسلطان الناصر، الذي وافق أيضاً على تلبية جميع طلباته ، ومما يدل على ارتياحه الكبير وسروره البالغ قيامه في سنة ٧١٢هـ/١٣١١م بإرسال هدية ثمينة اشتملت على اثنين وأربعين حملاً كانت من بينها أقمشة متنوعة من الجوخ والحرير وسنجاب وخمسة شواهين وصقر واحد ، فضلاً عن مجموعة من التحف النفيسة والجميلة (٢) .

وفي ذي الحجة من سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٢ م أرسل الإمبراطور البيزنطي مجموعة من الرسل بصحبة رسل أزبك خان إلى مصر ، وكانت عدد رسل الطرفين مئة وأربعة وسبعين نفراً حاملين الهدايا النفيسة ورسالة من أزبك خان للسلطان الناصر محمد ، الذي استقبلهم بدوره في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة ببالغ الإكرام والتقدير(٣) .

وعلى الرغم من صعوبة معرفة مضمون الرسالة المرسلة إلى السلطان الناصر محمد، لكن يبدو أنها كانت جزء من سياسة الدبلوماسية التي اتبعها الأباطرة البيزنطيين الذين استمروا في مراسلة سلاطين مصر وبذل الطاعة لهم ، ومما يؤكد ذلك ترددت رسلهم إلى القاهرة في السنوات ٧١٦هـ/١٣١٧م و٧١٧هـ/ ١٣١٨ و٧٢٠هـ/ ١٣٢١م و٧٢٥هـ/١٣٢٦م و٧٢٧هـ/١٣٢٦م من اجل عقد اتفاقية دفاع مشترك ضد القوى التركمانية في آسيا الصغرى(٤).

---

(١) سرور ، دولة بني ، قلاوون ، ص ٢٦٠ .

(٢) ابن أيبك ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : هانس روبرت رويمر (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة : ١٩٦٠م) : ج٩/ص٢٤٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب : ج٣٢/ص١٥٢ ؛ المقريزي ، السلوك : ج٢/ ص ٤٨٣ ؛ سرور ، دولة بني ، قلاوون ، ص ٢٦٠.

(٣) المقريزي ، المصدر نفسه ، ج٢/ ص ٤٩١ ؛ م. م.الرمزي ، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار (المطبعة الكريمية ، اورنبورغ : ١٩٠٨م) : مج ١ /ص ٥١٣ .

(٤) المقريزي ، السلوك:ج٢/ص٥٢٧ ؛ ج٣/ ص٢٦، ٧٩؛ سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٢٦١؛

وفي الوقت الذي سعت فيه الإمبراطورية البيزنطية إلى إقامة علاقات دبلوماسية ودية مع الدولة المملوكية أكثر من غيرها من القوى السياسية الأخرى ، تباينت ميول الأباطرة البيزنطيين في إقامة هذه العلاقات ، فتولى العرش البيزنطي أباطرة كانوا أكثر حرصاً من أقرانهم على تحقيق ذلك كالإمبراطور أندرونيق الثالث (٧٢٩-٧٤٢هـ/١٣٢٨-١٣٤١م) الذي اظهر حرصاً شديداً على توطيد علاقات الود والصداقة مع دولة المماليك ، فاستمر في إرسال الهدايا إلى السلطان الناصر محمد في القاهرة بين الحين والآخر ، وعلى ما يبدو انه كان في حاجة ماسه إلى دعم قوة إسلامية ، تسانده في مواجهة الدولة العثمانية النامية التي أخذت بالتوسع على حساب مناطق نفوذ الإمبراطورية البيزنطية [١] .

على ما يبدو أن الإمبراطورية البيزنطية التي ضعفت كثيراً كانت تخشى ازدياد نفوذ الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى ، مما يشكل خطراً كبيراً على مناطق نفوذها ، ومصالحها الاقتصادية في المنطقة ، وهذا ما حدث بالفعل عندما ظهر العثمانيون كقوة سياسية على مسرح الأحداث في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي [٢] ، فكانوا سبباُ رئيساً في تفاقم حالة الضعف التي تعيشها الإمبراطورية البيزنطية وأدت إلى انهيارها وسقوطها نهائياً نتيجة لوقوعها تحت ضغط عسكري كبير من لدن العثمانيين ليس في جانب معين بل في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فعلى الصعيد العسكري حاول الإمبراطور أندرونيق الثالث إيقاف الزحف العثماني ، إلا انه مني بهزيمة

---

(١)طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ٢٨٦ -٢٨٧.

(٢) موير ، تاريخ دولة المماليك ، ص ٩٣ ؛ عاشور ، أوربا العصور الوسطى :ج١/ص٦٧٥ .

كبيرة على أيدي القوات العثمانية في معركة بيلكانون بالقرب من مدينة ملطية [١]، كما تمكن العثمانيون من السيطرة على نيقية ٧٣١هـ/١٣٣١م [٢] .

ومن اجل تلافي الوقوع في مثل هكذا موقف ، سعت الإمبراطور البيزنطي إلى عقد التحالف مع الدولة المملوكية لتتمكن من الوقوف بوجه الإمارات التركمانية والتصدي لخطرها المحدق ، ويعد رفض الإمبراطور القاطع للاشتراك في تنفيذ مشروع الحصار الاقتصادي الصليبي ضد مصر[٣] ، الذي وضع خططه احد دعاة الحروب الصليبية من ذوي الأصول الايطالية في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠ م ، خير دليل على الحرص الكبير من لدن الإمبراطور البيزنطي أندرونيق الثالث على استمرار العلاقات الطيبة مع الدولة المملوكية ، وعدم الإخلال بالاتفاقات المعقودة بين الطرفين أو نقضها [٤] .

أرسل الإمبراطور أندرونيق الثالث سفارة إلى القاهرة في سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م، للاستفسار عن النزاع الذي نشب بين بعض الرهبان حول اختيار شخص لازاروس

---

(١) ملطية : تقع في بلاد الروم (آسيا الصغرى) أطلق الروم عليها تسمية ملتين Melitene ، وهي من أجمل ثغور المسلمين من جهة بلاد الشام حيث تحيط بها الجبال وتمتاز بكثرة زراعة الجوز واللوز والكروم . ينظر:أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المعروف بياقوت الحموي ، معجم البلدان (دار الفكر ، بيروت : د.ت.) : ج٥/ ص١٩٢-١٩٣ ؛ كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢(مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٥م) ، ص١٥٢-١٥٣ .

(٢) نبيه عاقل ، الإمبراطورية البيزنطية (د.م ، دمشق ، د.ت) ، ص ٣٣٨ ؛ عبيد ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) هو مشروع صليبي دعا إلى القيام به احد الصليبيين من مدينة جنوة اسمه مارينو سانودو ، وكان يهدف إلى خنق مصر اقتصاديا من خلال فرض حصار اقتصادي عليها لتسهل عملية احتلالها عسكرياً ، ثم الاستيلاء على الأراضي المقدسة في بلاد الشام ، واستمر من سنة ٧١٩هـ/١٣٢٠م إلى ٧٤٥هـ/١٣٤٥م . للمزيد عن الحصار الاقتصادي على مصر في العصر المملوكي .ينظر : مصطفى ، العصر المملوكي،ص٤٥-٤٩ ؛ عادل إسماعيل محمد هلال ، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة : ١٩٩٧م) ، ص ٢٤٥-٢٥٠ .

(٤) نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة ، ص ٥٤ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٣ .

المتواجد في القسطنطينية لمنصب بطريركية بيت المقدس والاشتراك في حله ، وعلى الرغم من أن مسؤولية حل النزاع كانت تقع على عاتق السلطان المملوكي ، إلا انه لم ينزعج من تدخل الإمبراطور البيزنطي الذي توفي قبل أن يحل النزاع ، الذي انتهى في عهد خليفته الإمبراطور حنا الخامس (٧٤٢-٧٩٤هـ/ ١٣٤١-١٣٩١م) ، فصادق السلطان المملوكي عليه (١) .

بقيت العلاقات البيزنطية – المملوكية يسودها الهدوء والاحترام المتبادل طوال عصر أسرة بني قلاوون ، حيث بقي الحكم بيد أولاد السلطان المنصور قلاوون وأحفاده لحقبة امتدت أكثر من مئة سنة (٦٧٨-٧٨٤هـ /١٢٧٩-١٣٨٢م) ، وقد أكدت المصادر والمراجع التاريخية ذلك من خلال إشارتها إلى أن الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس أرسل سفارة إلى القاهرة في سنة٧٤٣هـ/١٣٤٢م برفقة البطريرك لازاروس الذي عاد إلى بيت المقدس بعد سنتين ، وكانت السفارة تحمل رسالةً كتبها الإمبراطور بنفسه ، ملتمساً فيها من السلطان الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م) بناء كنيسة في القاهرة ، فوافق على طلبه ، ووعده بمنح جميع الحجاج والرهبان ورجال الدين البيزنطيين في الأراضي المقدسة نفس الامتيازات التي تمتع بها التجار البيزنطيين في البلاد التابعة للدولة المملوكية ، فضلاً عن وضعهم تحت حمايته (٢) .

أرسل السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد (٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦١م) البطريرك لازاروس في سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م مبعوثاً إلى القسطنطينية ، لإعلام الإمبراطور حنا الخامس بان ما وقع من اضطهاد لبعض رجال الدين والرهبان النصارى في الأراضي المقدسة كان مجرد أعمال فردية ولا علم للسلطان بها (٣).

(1) Johannes Pahlitzsch , Mediators Between East and West : Christians Under Mamluk Rule , Mamluk Studies Review (The University of Chicago : 2005) : Part. IX /Vol. 2 / P. 37 .

(2) Pahlitzsch , Mediators Between East and West : Part. IX /Vol. 2 / P. 38 .

(3) Pahlitzsch , Mediators Between East and West : Part. IX /Vol. 2 / P. 38 -39 .

كما أرسل الإمبراطور حنا الخامس في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م سفارة بمعية بطريرك الملكانية إلى السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٦م) في القاهرة ، كان الهدف الرئيس منها تطييب النفوس ، وإزالة ما علق في نفوس المماليك من آثار سيئة بسبب الحملة الصليبية التي هاجمت مدينة الإسكندرية في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م بقيادها بطرس الأول لوسنيان (٧٦١-٧٧١هـ/١٣٥٩-١٣٦٩م) ملك المملكة الصليبية في قبرص [(١)] .

ظل الوئام والصفاء سائداً طيلة عصر سلاطين المماليك من بني قلاوون على الرغم من طولها وتعدد سلاطينها الذين وصل عددهم اثنا عشر سلطاناً ، ومما يدل على ذلك قيام الإمبراطور حنا الخامس بإرسال سفارة بيزنطية إلى السلطان الأشرف شعبان للتوسط من اجل إبرام الصلح مع القبارصة ، وإطلاق سراح الأسرى الصليبيين[(٢)] ، فوصلت هذه السفارة إلى الإسكندرية في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م حاملةً مجموعة من الهدايا الفاخرة التي أرسلها الإمبراطور ، كما أبلغت نائب السلطان في الإسكندرية صلاح الدين بن عرام بأنهم رسل لجميع الملوك الصليبيين إلى السلطان ، فتم التشاور بين أعضاء السفارة ونائب السلطان ، الذي أرسلهم إلى القاهرة حيث هناك مقر السلطان الأشرف شعبان ، كما وصلت بعد خمسة أيام من وصول السفارة البيزنطية عدد من السفن القبرصية التي تحمل سفراء من قبرص وجنوة والبندقية وردوس للتفاوض في عقد الصلح ، إلا أنهم لم ينزلوا إلى البر ، لخشيتهم على أنفسهم عندما لم يروا السفارة البيزنطية وسفنها ، فحدثت مناوشات بين الطرفين إذ طلب في أثرها القبارصة ومن معهم السلام ، وابلغوا نائب الإسكندرية بأنهم رسل سلام لا حرب ، فأرسلهم بدوره إلى القاهرة للقاء السلطان والتفاوض معه [(٣)] .

عاد أعضاء السفارة البيزنطية ومن معهم من القاهرة إلى الإسكندرية ومنها إلى قبرص دون أن يتمكنوا من أطلاق الأسرى الصليبيين، إلا أنهم كرروا المحاولة ووصلوا

(١) المقريزي ، السلوك :ج٤/ص٣٢٥ ؛ سرور ، دولة بني قلاوون ، ص٢٦٢.
(٢) نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة ، ص ٥٥.
(٣) نعينع ، الحروب الصليبية المتأخرة ، ص ٢٢٤.

إلى القاهرة في نهاية شهر محرم سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، للاتفاق حول إطلاق سراح الأسرى الصليبيين ، فتم الاتفاق بين الطرفين على تبادل الأسرى ، ويبقى رسل بيزنطة وجنوة والبندقية وقبرص رهائن عند السلطان حتى تسافر سفارة مكلفة من قبل السلطان الأشرف إلى قبرص لتحليف ملوكهم على توقيع الصلح وإطلاق الأسرى المسلمين ، وبعد أن تم ذلك عادت السفارة إلى القاهرة ، وأطلق سراح السفارة القبرصية وأسرى الصليبيين [١].

تولى المماليك من ذوي الأصول الجركسية أمر السلطنة في دولة المماليك في مصر سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بعد أن كان جميع سلاطينها من أصول تركية[٢] ، لتتحول دولة المماليك من دولة ذات صبغة تركية إلى دولة ذات صبغة جركسية ، وبموجب ذلك انقسمت حقبة حكم الدولة المملوكية إلى قسمين سمي كل منها حسب أصول السلاطين الذين تولوا حكمها ، فأطلق على الدولة الأولى اسم دولة المماليك الأتراك (البحرية)(٦٤٨–٧٨٤هـ/١٢٥٠–١٣٨٢م) [٣]، في حين سميت الدولة الثانية باسم دولة المماليك الجراكسة(البرجية)[٤](٧٨٤– ٩٢٣هـ/١٣٨٢–١٥١٧م) ، فاستأنفت دولة المماليك الجراكسية علاقاتها الدبلوماسية مع القوى السياسية الخارجية متبعةً نفس السياسة والقواعد الدبلوماسية التي انتهجتها دولة المماليك البحرية ، وفي ذات الوقت بقيت جميع المعاهدات الاقتصادية والأمنية والسياسية والأحلاف التي عقدتها دولة المماليك البحرية سارية المفعول دون أي تغيير ، ومما يدلل على استمرار العلاقات الحسنة بين الطرفين البيزنطي والمملوكي ، وبقاء الدبلوماسية وسيلة من وسائل التعامل بينهما ، ما قام به الإمبراطور

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥.

(٢) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٤ .

(٣) المماليك البحرية : أطقت تسمية البحرية عليهم نسبة جزيرة الروضة التي عاشوا فيها ، والتي تقع في نهر النيل : للمزيد ينظر : العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ؛ الباز العريني ، المماليك (دار النهضة العربية، بيروت : ١٩٦٧م) ؛ قاسم ، عصر سلاطين المماليك ، ص٢٥ –٣٨ .

(٤) المماليك البرجية : أطقت تسمية البرجية عليهم نسبة إلى الأبراج أقاموا فيها أثناء تربيتهم . للمزيد ينظر : حكيم أمين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية (الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٦م)؛العريني ، المماليك ؛ قاسم ، عصر سلاطين المماليك ، ص١٤٠–١٥٩.

البيزنطي حنا الخامس في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥ م ، إذ أرسل سفارة إلى القاهرة لتنمية العلاقات السياسية والاقتصادية مع مصر ، فوصل أعضاء السفارة إلى مقر السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) ، حاملين الهداياً الثمينة مع رسالة التمس فيها الإمبراطور موافقة السلطان على أن يكون للبيزنطيين قنصل في مدينة الإسكندرية أسوة بقنصل البندقية ، فاستجاب السلطان الظاهر برقوق لطلب الإمبراطور البيزنطي ، وأكرم أعضاء سفارته بمنتهى الحفاوة والتقدير (١) .

بعد الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الإمبراطورية البيزنطية على أيدي العثمانيين أخذت قواها تضمحل شيئاً فشيئاً وتتجه نحو الهاوية ، فضعف نشاطها الخارجي ، وأصبح من الطبيعي أن لا تتمكن هذه الإمبراطورية المحتضرة من الصمود بوجه الخطر العثماني ، ولاسيما انه لم يعد بوسع الأباطرة البيزنطيين الاعتماد بشكل كبير على مساعدة الدولة المملوكية ودعمها أو تأييدها على الأقل ضد العثمانيين(٢)، وذلك لان قيامها بمثل هذا الأمر يعد فعلاً مشيناً، ولاسيما أن جميع المسلمين بمختلف أعراقهم ومذاهبهم وفي جميع البلاد الإسلامية سواء في داخل دولة المماليك في مصر وبلاد الشام أو خارجها كانوا مع الحروب التي تقوم بها الدولة العثمانية في شرق أوربا ، وتوسعها باتجاه الغرب الأوربي بل كانوا يعدونها جهاد في سبيل الله (٣)، مما اضطر البيزنطيين إلى الدخول في طاعة العثمانيين ، إذ لم يجدوا أمامهم سبيلاً سوى ذلك، فدفعوا لهم الجزية السنوية(٤)، واستمرت الحال على هذا المنوال لينتهي بالفتح العثماني للقسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥ – ٨٨٥ هـ/١٤٥١ – ١٤٨١ م) في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م ليكون الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر (٨٦٢- ٨٥٧هـ/١٤٤٨-١٤٥٣م) آخر الأباطرة البيزنطيين في

(١) ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسن حبشي (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة : ١٩٦٩م) : ج١/ص٣٠١ ؛ سرور دولة بني قلاوون ٢٦٢

(٢) عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (دار المعارف ، القاهرة : ١٩٦٧م) ، ص ١٩٠ ؛ حسنين ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٣٠٢.

(٣) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٤ .

(٤) عاشور ، أوربا العصور الوسطى : ج ١/ص٦٧٩.

القسطنطينية [١] ، وعلى الرغم من العلاقات الحسنة والتحالفات التي ربطت الإمبراطورية البيزنطية بدولة المماليك ، والوسائل الدبلوماسية التي اعتمدها كلا الطرفين سر المماليك وفرحوا فرحاً كبيراً بالفتح العثماني للقسطنطينية ، فما أن وصلت الأخبار إلى مدينة القاهرة ، أمر السلطان الاشرف إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) بإقامة الزينة ابتهاجا والاحتفال بهذا النصر الكبير ، كما أرسل السلطان أينال إلى محمد الفاتح العثماني يهنئه بهذا الفتح العظيم[٢]، لتنتهي بذلك الإمبراطورية البيزنطية من على مسرح الأحداث ، وتنتهي بانتهائها جميع نشاطاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

(١) عاقل ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٥١ ؛ عوض ، الحروب الصليبية ، ص٢٧٤.

Edwin A. Grosvenor , Constantinople , (Roberts Brothers , Boston : 1900) : Vol. 1/p. 43-45 ; C. W.C. Oman., The Byzantine Empire (Fisher Unwind , New York : 1915) p.345-4346.

(٢) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٧٥ ؛ توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٠-١٩١ .

Diplomatic Relationships

between Byzantine Empire and the Mamluk State

Dr.Fthi Salim Humedi

Abstract

Sword has not been the only conclusive factor in achieving victories . But, there have many devices and means which politicians and militias depend on in achieving victory. Diplomacy is one of these means . So The Mamluk State in Egypt those unique military leaders and Wise politicians if them used the sword in apposition and Diplomacy in other position according to the conditions. In spite of hidden hatred and historical enemy Which Byzantine Empire has toward Islamic Arabic Nation since its first establishment and continues for nearly six centuries. Circumstances that have dominated the area required following diplomatic means to keep their benefits Which lead to the raising of diplomatic relationships between them in the age of Mamluk State . And this Would be detailed in the body of this paper .